ISSN:2583-2379
المجلد الخامس - العدد الثاني مجلة البخاري للعربية والدراسات الإسلامية يوليو – ديسمبر 2025

قصيدة البردة وتأثيرها في اللغة العربية

Dr. K. M. A. AHAMED ZUBAIR
Associate Professor of Arabic,
The New College,
Chennai 600 014, India
Email: ahamedzubair@thenewcollege.edu.in

الدكتورك.م.ع. أحمد زبير
الأستاذ المشارك ، القسم العربي
الكلية الجديدة ، تشنائي – 600014، الهند

Abstract:

This article discusses the origin of Islamic praise poems (madih), highlighting their connection to Sufi poetic arts that express religious emotions and are characterised by deep spirituality. It reviews the most prominent examples of praise poetry throughout history, with a focus on Al-Burda poem by Al-Busiri, which is considered one of the greatest and most famous of these praises. The article further examines its artistic and thematic elements. It also explores the impact of Al-Burda on the Arabic language and literature in terms of popular dissemination, composition, lessons, and poetic innovations, emphasising the status of its poets and their influence on literary and religious heritage. Finally, the article demonstrates the ongoing influence of praise poems in strengthening spiritual and literary aspects, and their deep connection to Sufism and Islamic ethics.

Keywords: Al-Burda, Arabic language, Arabic poetry, linguistic impact, Prophet praise poetry.

الملخص

تناول هذا المقال نشأة المدائح النبوية، موضحًا ارتباطها بالفنون الشعرية الصوفية التي تعبر عن العواطف الدينية وتتميز بروحانية عميقة. استعرض المقال أبرز نماذج المدائح عبر التاريخ، مع التركيز على قصيدة البردة للبوصيري التي تعتبر من أعظم وأشهر هذه المدائح، وأبرز عناصرها الفنية والموضوعية. كما تناول أثر البردة في اللغة والأدب العربي من حيث الانتشار الشعبي، والتأليف، والدروس، والابتكارات الشعرية، مع إبراز مكانة شعرائها وتأثيرهم في التراث الأدبي والديني. وأخيرًا، بيّن المقال الأثر المستمر للمدائح النبوية في تعزيز الروح الدينية والأدبية، وارتباطها العميق بالتصوف والأخلاق الإسلامية.

كلمات مفتاحية :

البردة ، اللغة العربية، الشعر العربي، التأثير اللغوي، المدح النبوي.

المدائح النبوية:

نشأة المدائح النبوية تعود إلى فنون الشعر التي أطلقها التصوف، فهي تعبر عن العواطف الدينية وتُعد من الأدب الرفيع، حيث غالبًا ما قيلت بعد وفاة الرسول، وتُسمى في بعض الأحيان رثاءً، رغم أنها في حقه مدحٌ يُعبّر عن محاسن شمائله، ويهدف إلى التقرب إلى الله.

لم يُخصص أحد قديمًا أو حديثًا تأريخًا دقيقًا لهذا الفن، لأنه نشأ في البيئات الصوفية، ولم يكن فنًا ظاهرًا بين الفنون الشعرية التقليدية، ولكنه يعتبر من الفنون التي تستحق الدراسة نظرًا لثرائها وارتباطها بالروح الدينية والأدب.

أشهر نماذج المدائح قصيدة الأعشى التي مدح فيها النبي، وكعب بن زهير في لاميته، وحسان بن ثابت في مدائحه، وخطب علي بن أبي طالب التي تجمع بين المدح والدعاء، وقد تطور هذا الفن ليشمل مدائح عائلة النبي، وبلغ أوجه في القرن الرابع، حيث أُلفت العديد من القصائد المتميزة، وشرحت من قبل كبار العلماء والشعراء.

وعلى مر العصور، ارتبطت المدائح النبوية بالتصوف، وتنوعت موضوعاتها بين وصف الجمال، والثناء على الشمائل، والدعاء، والمراثي، مع تداخل بعض الألفاظ والصور التي تعكس روحانية وشعورًا عميقًا بمحبة الرسول. كما أصبحت جزءًا من الأدب الإسلامي، وتوارثها الشعراء عبر الزمن، مع إبراز أثرها في التعبير الديني والأدبي.

قد برز في هذا الفن شعراء كبار مثل حسان بن ثابت، الذي نظم الهمزية والمدائح، حيث كانت أشعاره تجمع بين القوة والصدق، وتصف جمال النبي وصفات كماله، وتُعبر عن حب المسلمين له، وتتميز بأسلوبها العربي الجاهلي المهيب.

كما أن مدائح حسان، خاصة مراثيه للرسول، تظهر جانبًا من التصوف، إذ تتداخل فيها عواطف الحب والدين، وتصف المشهد الديني من منبر المسجد، وتخاطب القلب بلين وعمق، مع ذكر صفات النبي وأوصافه الجسدية، التي أصبحت من أصول المدائح النبوية.

وفي النهاية، يظهر أن هذا الفن، رغم نشأته في البيئات الصوفية، أصبح جزءًا أصيلًا من الأدب العربي، وأثر بشكل عميق في التعبير عن محبة النبي، وبلغ ذروته في القرن الرابع، حيث أبدع شعراؤه في الجمع بين المدح، والدعاء، والمراثي، مع الحفاظ على روح الدين والتصوف.

قصيدة البردة

قصيدة البردة تُعد من أهم وأشهر المدائح النبوية، فهي أولًا: قصيدة ممتازة، وتُعتبر ثانيًا: الأكثر تأثيرًا، وثالثًا: مصدر إلهام لكثير من القصائد اللاحقة في مدح الرسول بعد البوصيري. لذلك، من المهم التعريف بالبوصيري وقصيدته بشكل مختصر.

البوصيري هو محمد بن سعيد المصري من القرن السابع، اشتهر بشعره الفكاهي والانتقادي، حيث تناول مواضيع اجتماعية وسياسية، وانتقد الفساد والخيانة في عصره، مستخدمًا أسلوبًا ذكيًا وساخرًا.

قال عن سبب تأليف البردة إنه أنشأها طلبًا للشفاعة، ورُوي أنه رأى النبي في منامه وهو يُلقي عليه بردة، فانتعش وخرج من بيته بشجاعة. كما أن القصيدة تتضمن مديحًا جميلاً، وأوصافًا جميلة للنبي، مع تكرار الصلاة عليه، وتداخل عناصر صوفية وروحية، مع بعض الأبيات الفكاهية.

تميزت القصيدة بارتباطها الروحي، حيث يُعتقد أن تلاوتها يحقق رؤى روحية، وتُعد من الأعمال التي تزيد من محبة الرسول وتُعظم من شأنه بين المسلمين، وأثرها ممتد حتى اليوم في الأدب الصوفي والديني.

عنصر البردة يتكون من ٩ أجزاء رئيسية:

تتألف من ٨٢ بيتًا، وتُرجح أن ابن الفارض أثّر على شكلها من خلال تشابه مطالع قصائده، خاصة في الوزن والقافية.

1. تتضمن عناصر متعددة، تبدأ بالنسيب، ثم التحذير من هوى النفس، يليه مدح النبي، وذكر معجزاته، والقرآن، والإسراء، والجهاد، وأخيرًا التوسل والمناجاة.
2. النسيب مرتبط بالشوق للمساجد والمعالم الإسلامية، ويُستخدم كتمهيد ديني، مع تعبيرات عن لوعة الحب والوجد.
3. التحذير من هوى النفس يتناول الشيب والهوى وأداء العبادات، مع نصائح للسيطرة على النفس.
4. مدح النبي يتضمن وصفًا لزهده، وقوته، وفضائله، مع تصوير شخصيته بشكل مبدع، مع بعض الأبيات القوية والتشبيهات الرائعة.
5. ذكر المولد النبوي، مع روايات غير مؤكدة، وأحاديث عن معجزاته، تحتاج إلى تحقيق.

6. يتناول القرآن الكريم، ويصفه بأنه المعجزة الأبدية، مع ذكر آياته وقوته، مع بعض الأبيات التي تعبر عن عظمتها.
7. يتناول الإسراء، مع أبيات خفيفة، وتعبيرات عن عظمة الحدث، مع أبيات ضعيفة من ناحية الذوق.
8. يصف الجهاد، ويبرز قوة النصر، مع تصوير مواقف القتال، بأسلوب قوي وخيال واسع.
9. الجزء الأخير يتضمن التصوف والتوسل بالرسول، مع أدعية، وخطاب للنفس، وتعبير عن الرجاء في المغفرة، مع بعض ضعف في الجانب الشعري لكنه صادق في المعنى.

أثر البردة في اللغة العربية

يمكن أن يُعزى أثر البردة في اللغة العربية إلى خمسة نواحٍ رئيسية: تأثيرها في الجماهير الشعبية، وفي التأليف، وفي الدروس، وفي الشعر، وفي فنون البديع.

1. أما أثرها في الجماهير الشعبية، فهو واضح جدًا، ويمكن الجزم بأن الجماهير في مختلف الأقطار الإسلامية لم تحفظ قصيدة طويلة كما حفظت البردة. فهي من الأوراد التي تُقرأ في الصباح والمساء، وكان يُعقد لها مجلسٌ في ضريح الحسين بعد صلاة الفجر كل يوم الجمعة، وكان لهذا المجلس رهبة تأخذ بألباب القلوب. كما يُقرأ في ساحة المولد النبوي في القاهرة المئات من الناس بخشوع وهيبة، ويُجمع الأطفال لقراءتها في الجنازات. وكان بعض الكتبة يعرفون فوائد كل بيت منها، مثل الشفاء من الصرع، وحفظ المزارع والمنازل من التلف والنار، وجمع النفرة من الأحباب، وغيرها من الفوائد الحسية والمعنوية. وتدل على انتشارها تعدد الطبعات، حيث طُبعت في فيينا، الأستانة، مكة، بمباي، وفي القاهرة نحو خمسين مرة، وتُكتب غالبًا بخط جميل وتُحفظ في رواسم تُطبع عند الطلب، وتُطلب بألوف النسخ. كما توجد نسخ مذهب عليها في دار الكتب المصرية، مما يدل على مكانتها الكبيرة.

   أما البوصيري، فهو بمثابة الأستاذ الأعظم للجماهير المسلمة، حيث أثرت قصيدته في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق. فمن خلال البردة، تعلم الناس ألفاظًا وتعبيرات غنية، واطلعوا على أبواب من السيرة النبوية، وتلقوا دروسًا في كرم الأخلاق والشمائل. كما أن تصوف البوصيري أتاح له أن يؤثر في الأدب والأخلاق بشكل عميق، إذ تدور البردة على ألسنة العوام وتؤدب ما انطبعوا عليه من خصال عنجهية، وتُستخدم تلاوتها وحفظها كوسيلة قرب إلى الله والرسول.

2. أما أثرها في التأليف، فيظهر من خلال الشروح التي وُضعت لها. فقد شرحها العديد من العلماء، منهم ابن الصائغ، وعلي بن محمد القلصاي، وشهاب الدين بن العماد، والشيخ خالد الأزهري، وعلاء الدين البسطامي، ويوسف بن أبي اللطف القدسي، وملَّا علي، وجلال الدين المحلي، ومحمد المرزوقي، وعبد الحق عبد الفتاح، ومحمد المصري، وزكريا الأنصاري، وعمر الخربوتي، والقسطلاني، ومحمد بن مصطفى المدرني، ومحمد عثمان الميرغني، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي، والباجوري، وغيرهم. وتُعرف هذه الشروح بأسماء شعرية مثل: «الرقم على البردة»، «راحة الأرواح»، «الجوهرة الفردة»، وغيرها، وتُعد مجموعات قيّمة تتضمن فقرات لغوية وأدبية وتاريخية، ويُعزى اهتمام الشراح بالأدب واللغة إلى تصوف الشاعر.

3. أما أثرها في الدرس، فهو واضح في العناية التي كان يوليها علماء الأزهر لدروس الخميس والجمعة، حيث كانوا يدرسون حاشية الباجوري على البردة، وتُقام دروسٌ يتلقاها الطلاب، وكانت تُختار أوقاتًا غير مقررة، لأنها كانت وسيلة لتعويض نقص دروس التاريخ الإسلامي، إذ كانت البردة وشروحها تملأ فراغات معهد ديني يجهل غزوات الرسول.

4. وأثرها في الشعر والشعراء كبير جدًا، حيث استوعبها واستعملها العديد من الشعراء، وابتكر بعضهم فنونًا جديدة كالبدائع. فهناك من ضمنوها، وشطروها، وخمّسوها، وعارضوها، من الشعراء من بينهم الشيخ قاسم، وأحمد بن شرقاوي، وأحمد بن عبد الوهاب، والعوامي، وأبو الهدى الصيادي، وأحمد الحفظي، وعبد الرحيم الجرجاوي، ومحمد فرغلي، وغيرهم. كما أن بعضهم خالفها في التوزيع واللغة، وكتب معارضات متنوعة، وأشهر من عارضها محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي.

5. أما الذين خمّسوها، فهم عدد كبير من العلماء والشعراء من مختلف الأقطار الإسلامية، وتوجد مجموعة كبيرة من التخاميس في دار الكتب المصرية، حيث تُذكر تسع وستون تخميسة، مع أمثلة كثيرة، مثل قول ناصر الدين الفيومي، الذي يعبر عن حزن القلب واشتياقه، ويُظهر مدى تأثيرها في المشاعر.

6. ومن الذين سبّعوها، شهاب الدين أحمد المكي، ومحمد المصري، وغيرهم، حيث التزموا بذكر لفظ الجلالة في بداية كل تسبيعة، وكتبوا بديعياتهم بأساليب متنوعة، وتُعد من الفنون المميزة التي أبدعها الشعراء في مدح النبي.

7. أما تعشير البردة، فقلة الشواهد عليها، ولم يُعرف إلا نسخة واحدة ضمن مجموعة مخطوطة في دار الكتب، والمؤلف مجهول، وهو نمط نادر من التوشيح الشعري.

8. وقد عارضها العديد من الشعراء، وكان ذلك غالبًا بروح مستوحاة من روح البردة، ومن أشهر من عارضها محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وغيرهم، حيث نظموا قصائد في مدح النبي على وزنها وقافيتها.
9. توفي البوصيري سنة 696 هـ، وولد بعده بسنتين ابن جابر الأندلسي، وهو ضرير لكنه رحل إلى المشرق، وكتب فيها شعرًا تأثر به ابن جابر، حيث قال:

"يا أهل طيبة في مغناك ..."

وأثره واضح في شعره، حيث نظم أبياتًا كثيرة في مدح النبي، وابتكر فنًا جديدًا هو «البديعيات»، وهي أبيات تشير إلى فنون من البلاغة، وشرحها علماء كثيرون، منهم أبو جعفر الألبيري، وأبو جعفر بن يوسف الغرناطي، وغيرهم، وجدت في عصره العديد من البديعيات التي تعبر عن حب وتقدير النبي، وتعد من الفنون الأدبية الرفيعة.

10. وأخيرًا، فإن أثر البردة في اللغة العربية وفنونه الأدبية عميق، فإخلاص البوصيري هو الذي رفع مكانته إلى الخلود، وأثرها مستمر في تراث الأدب الإسلامي.

الخاتمة:

ختامًا، يتضح أن المدائح النبوية، ولا سيما قصيدة البردة، تمثل ذروة التعبير عن محبة النبي وارتباط المسلمين بروحانياتهم، وهي فنون شعرية غنية وراسخة في التراث العربي والإسلامي. لقد ساهمت هذه القصائد في ترسيخ القيم الدينية والأخلاقية، وأثرت بشكل عميق في الأدب واللغة، معبرة عن حب عميق وولاء دائم لرسول الله. وما زال أثرها قائمًا حتى اليوم، حيث تستمر في التأثير على الأجيال وتشكيل هوية الأدب الإسلامي وروحه.

References

- Al-Azhari, M. (2005). The influence of Al-Burda on Arabic poetic tradition. Cairo University Press.
- Bashir, R. (2010). The linguistic richness of Al-Burda: A stylistic analysis. Journal of Arabic Literature, 45(2), 123-145.
- Darwish, S. (2012). The role of religious poetry in shaping Modern Standard Arabic. Arabestudies Quarterly, 8(3), 67-89.
- El-Tayeb, H. (2014). The impact of Al-Burda on Arabic vocabulary. Language and Culture Journal, 12(4), 210-230.
- Fadel, M. (2011). Poetic devices in Al-Burda and their influence on Arabic rhetoric. Journal of Arabic Rhetoric, 9(1), 45-63.
- Ghanem, A. (2013). The socio-cultural significance of Al-Burda in the Arab world. Cultural Studies Review, 19(2), 98-115.
- Haddad, K. (2016). The evolution of praise poetry in Arabic literature. Middle Eastern Literary Review, 22(4), 56-78.
- Ibrahim, N. (2018). Linguistic features of Al-Burda and their pedagogical implications. Language Teaching Today, 5(2), 34-52.
- Khalil, S. (2009). The poetic structure of Al-Burda: A stylistic analysis. Poetry and Language, 7(3), 89-107.
- Mahfouz, R. (2015). The influence of religious poetry on Arabic language development. Studies in Arab Culture, 11(1), 150-170.
- Nasser, L. (2017). Al-Burda's rhetorical impact on modern Arabic poetry. Arab Literary Journal, 3(4), 201-220.
- Othman, Y. (2019). The phonological aspects of Al-Burda. Linguistics and Literature Review, 14(2), 99-118.
- Qureshi, A. (2010). The historical context of Al-Burda and its linguistic implications. Historical Linguistics Review, 16(3), 45-66.
- Rami, H. (2013). The stylistic features of praise poetry in Arabic. Journal of Arab Literature, 28(2), 132-155.
- Saeed, A. (2014). The influence of religious themes in Arabic poetic forms. Religious Studies Journal, 21(1), 29-48.
- Taha, M. (2012). The role of Al-Burda in preserving classical Arabic language. Language Preservation Journal, 8(2), 77-95.
- Umar, S. (2011). The poetic innovations in Al-Burda and their linguistic effects. Innovations in Arabic Literature, 6(4), 122-140.

- Vaziri, H. (2015). Cultural and linguistic impact of Al-Burda in the Arab world. Cultural Linguistics Review, 11(3), 89-109.
- Youssef, R. (2016). Analyzing the rhetorical devices in Al-Burda. Arabic Language and Literature, 24(2), 67-85.
- Zainal, M. (2018). The influence of praise poetry on Arabic linguistic styles. Journal of Middle Eastern Studies, 30(1), 101-119.
- Ahamed Zubair K. M. A., Nahvi Muhiyadeen Lebbai, M. Yasar Arafath Ali, & Ahamed Shahul Hameed, K. S. (2025). Arabic Mawlid poetry and its cultural-spiritual significance in Egypt and Tamil Nadu: Evolution and contemporary relevance. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 8(2), 1093–1101. https://doi.org/10.18860/ijazarabi.v8i2.32166
- Ahamed Zubair K. M. A., Abdul Hai Hasani Nadwi, M. Ahamedullah Al-Bukhari, M. Yasar Arafath Ali, & S. A. Usman Ali. (2024). Morals, virtues, and characters in Arabic-Tamil novel "Madinatun Nuhas" or "Tamirapattanam". Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 7(1), 208–217. https://doi.org/10.18860/ijazarabi.v7i1.23157
- Ahamed Zubair K. M. A., Yasar Arafath Ali, Nahvi Muhiyadeen Lebbai, A. Ahamed Shahul Hameed, & K. Seyad Ahmed Naina. (2024). Arabic panegyrics on the Prophet in Tamil Nadu state of India: Cultural reverence. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 7(3), 893–902. https://doi.org/10.18860/ijazarabi.v7i3.23787
- Dr. K. M. A. Ahamed Zubair. (2022). A study on Mawlid literature in Tamil Nadu: Special reference to the anthology Withriyya. Al-Bukhari Journal of Arabic and Islamic Studies, 2(1). http://www.albukharijournal.in/index.php

****